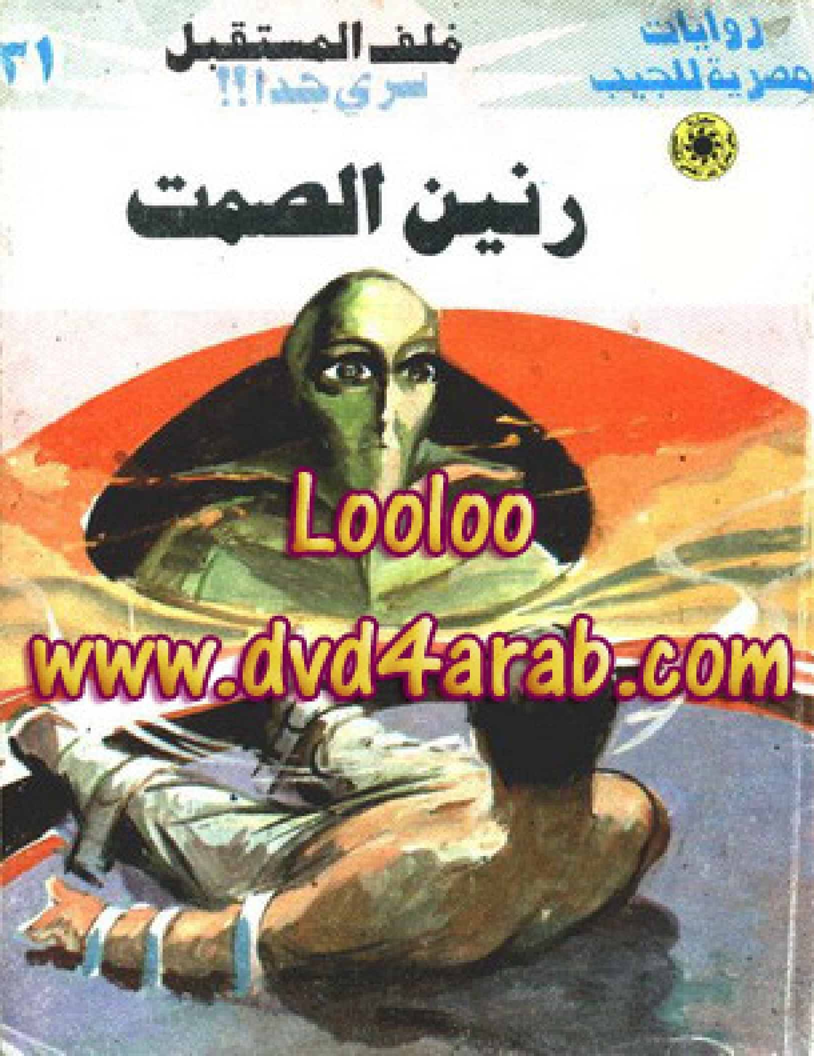

روايات
مصرية للجيب
٣١
ملف المستقبل
سري جدا!!
رنين الصمت
Looloo
www.dvd4arab.com

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف

د. نبيل فاروق

رنين الصمت

- كيف يمكن أن ينتقل رنين مرتفع وسط فضاء خال من الهواء ؟
- ما سرُّ الكُوَيْكب المجهول ، الذى انضم فجأة إلى مجموعتنا الشمسية ؟
- أينجح أبطالنا فى مواجهة مخلوقات الكون الأخرى ، أم يغلبهم (رنين الصمت) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، واشترك مع (نور) فى حلّ اللغز

٣١

الثمن فى مصر
٦٠
وما يعادل دولارا أمريكيا فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : الأفق الأخضر



١ ــ شرطىّ الفضاء ..

تثاءب الرائد (نور) ، وتململ فى جلسته للمرة العاشرة ، خلال ساعته الأولى أمام شاشة المراقبة ، فى المحطة الفضائية (قاهرة ٧) ، مركز شرطة الفضاء ، التى انضم إلى صفوفها منذ شهر تقريبًا(*) .

.. وعاد ببصره إلى نافذة المحطة الفضائية ، يتأمّل الفضاء الممتد أمامه إلى ما لا نهاية ، والذى تتناثر فيه النجوم اللامعة ، كثريًّا معلقة ، أبدع الخالق (عزَّ وجلَّ) تنظيمها وتنسيقها ؛ لتصنع لوحة يعجز عنها أعظم فنانى الكون ..

تثاءب (نور) مرّة أخرى بصوت مرتفع ، وأعقب ذلك بتنهيدة ، انطلقت من أعماقه ؛ لتعبِّر عن السخط البالغ الذى يغلى فى صدره ، والذى انطلقت من بين شفتيه فى غمغمة :

(*) راجع قصة (النار الباردة) .. المغامرة رقم ٣٠ .

ــ اللعنة !! لسوف تصاب عضلاتى بالارتخاء ، بعد شهر آخر فى هذا العمل الممل .

وفى تلك اللحظة ، سمع صوتًا من خلفه يقول ضاحكًا :

ــ هل فقد البطل السابق صبره ؟

استدار (نور) فى ضيق ، يتأمل القادم .. كان شابًا فى أوائل الثلاثينات ، طويل القامة ، وسيم الملامح ، له شعر بنى ناعم ، متوسط الطول ، وعينان سوداوان واسعتان ، ووجه حليق .. كان زميله الرائد (خالد) ، الذى جلس إلى جواره ، وقال مستطردًا :

ــ القيادة نفسها تعلم أن قطاع شرطة الفضاء ، أكثر فروع الشرطة إثارة للملل ؛ لذا فقد تحوّل الانتقال إليها إلى نوع من العقاب .

غمغم (نور) بعبارة ساخطة غير مفهومة ، فعاد (خالد) يبتسم متابعًا :

ــ إننى أتساءل فى الواقع ، عن السبب فى إنشاء هذا القسم .

أجابه (نور) ، وكأنما وجد فرصة للهروب من ذلك الملل :

ــ كان ذلك أمرًا طبيعيًا ، بعد أن دخلت (مصر) عصر الفضاء ، فى السنوات الأخيرة من القرن العشرين يا (خالد) ، وبعد ذلك الهجوم الذى شنّته بعض الأطباق الطائرة المجهولة على محطة الطاقة الأيونية ، فى عام ألفين وخمسة .

هزّ (خالد) كتفيه فى استهتار ، وقال :

ــ لقد تمّ تدميرها عن آخرها ، دون أن تكون هناك شرطة فضاء .

هزّ (نور) كتفيه فى ضجر ، وعاد إلى مراقبة الشاشة الرادارية الفضائية فى صمت ، فعاد (خالد) يقول :

ــ ما رأيك فى مشاهدة (فيلم) مجسّم حديث ؟.. إنهم يبثّونه إلينا من المركز الأرضى .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ــ كلّا .. لقد سئمت هذه (الأفلام) المجسّمة ، فقصصها جميعًا تتشابه .

ضحك (خالد) ملء شدقيه، وهو يقول :

ــ وماذا تنتظر ياصديقى ؟ .. ما دمنا قد نفينا إلى (قاهرة ٧)، فلا أمل فى مغامرة واحدة .

وفجأة .. مال (نور) إلى الأمـــام يحدق فى شاشة المراقبة، واكتست ملامحه بمزيج من الدهشة والقلق، ممّا دفع (خالد) إلى النظر إليها بدوره متسائلاً :

ــ ماذا هناك ؟

أشار (نور) إلى نجم شديد الضياء، يبدو واضحًا فوق الشاشة، وقال فى اهتمام بالغ :

ــ خُيّل إلىّ أن هذا النجم ظهر فجأة، وسط النجوم الأخرى يا (خالد) .. إنه لم يكن هنا من قبل .

حدّق (خالد) فى النجم، وقال فى دهشة :

ــ ظهر فجأة ؟! .. النجوم لا تظهر فجأة يا (نور) .. لعله نجم انفجر فازداد سطوعه و ....

هزّ (نور) رأسه فى عناد، وقال :

ــ كلاّ يا (خالد) .. إنه لم يكن هنا من قبل .. أنا واثق من ذلك .

صمت الاثنان لحظة، ثم عاد (خالد) يشير إلى النجم قائلاً :

ــ يُخيّل إلىّ أنه يزداد حجمًا وسطوعًا يا (نور) ... أأنت واثق أنه لم يكن هنا من قبل ؟

أجابه (نور)، وقد شاب لهجته بعض القلق :

ــ كل الثقة يا (خالد) .

هزّ (خالد) رأسه فى بطء وحَيْرة، وقال :

ــ يمكننا مراجعة الخرائط الفضائية .

ثم استطرد فى مرح حاول أن يخفى به قلقًا :

ــ ربما وقعنا على كشف نجم جديد، يحمل اسمنا فى مراجع الفلك ياصديقى .

ولكن (نور) لم يشاركه مرحه، إذ تعلّق بصره بالنجم الذى ازداد سطوعًا وحجمًا بشكل مقلق، فغمغم :

ــ لعله نيزك ضخم يتّجه إلينا أو ....

وفجأة .. وقبل أن يتم عبارته، اهتزت الصورة على شاشة المراقبة فى شدّة، وصدر أزيز قوىّ، ثم أظلمت الشاشة تمامًا، فقفز (خالد) صائحًا فى قلق :

ــ يا إلهى !! لقد تحطّم هوائى الالتقاط فى الخارج .. أو شىء من هذا القبيل .



خرج نور بزيه الفضائىّ الفضىّ من كوّة الطوارئ ، يسبح فى الفضاء ..

نهض (نور) ، وهو يقول فى عجلة واهتمام :

ــ سأخرج لفحص الهوائىّ .

تعلّق (خالد) بذراعه ، قائلاً فى قلق :

ــ انتظر يا صديقى .. دعنا نستشر المقدّم (مجدى) أولاً .. ربما كان الأمر أخطر من ذلك

أزاح (نور) ذراع زميله ، قائلاً :

ــ إننا لن نوقظه لسبب بسيط كهذا .. لقد عمل اثنتى عشرة ساعة كاملة أمام شاشة المراقبة ، وهو يحتاج إلى نوم عميق ليواصل عمله .

ثم أردف وهو يبتسم :

ــ ثم إنها ليست المرة الأولى التى أسبح فيها فى الفضاء .

* * *

خرج (نور) بزيّه الفضائىّ الفضىّ من كوّة الطوارئ ، يسبح فى الفضاء ، مستخدمًا بالمحطة الفضائية (قاهرة ٧) أنابيب الدفع النفاثة الصغيرة المثبّتة فى حزامه .. وأدار جسده فى مهارة موجّهًا إلى حيث هوائى الالتقاط .. ولم يكد يصل إليه حتى ضاقت عيناه ، والتقى حاجباه فى دهشة وحيْرة ؛ إذ كان الهوائى سليمًا ، يعمل فى كفاءة ،

فأشعل (نور) الاتصال الصوتى من خلال زيّه الفضائى بينه وبين زميله ، وسأله :

— هل عادت شاشة المراقبة إلى العمل ؟

أجابه زميله (خالد) نافيًا :

— كلّا يا (نور) .. إنها ما تزال سوداء .. هل أصلحت الهوائىّ ؟

ردّ (نور) ، وقد ازدادت حيْرته :

— إنه يعمل بكفاءة يا (خالد) .. إنه ليس المسئول عن العُطل .

صمت (خالد) لحظة ، ثم قال :

— عُدْ إذن يا صديقى .. لعلّ العُطل فى الجهاز نفسه .

أراد (نور) أن يجيبه بأنه عائد ، ولكن شيئًا ما منعه من ذلك .. رنين عجيب ملأ أذنيه ، وانتقل إلى عقله وفجّر دهشته حتى أنه بذل مجهودًا خارقًا ، ليقول :

— هناك شىء عجيب يا (خالد) .. رنين شديد يملأ المكان .

صاح (خالد) فى دهشة بالغة :

— رنين ؟!.. إن الصوت لا ينتقل فى الفراغ يا (نور) .. لا يمكنك أن تسمع رنينًا هناك .. ثم إنه .. ثم إننى لا أسمع شيئًا .

شعر (نور) بألم شديد فى أُذنيه ، وارتفع الرّنين إلى درجة غير محتملة ، حتى أنه صرخ فى ألم :

— إنه رنين قوى للغاية يا (خالد) .. هل هناك عطل فى أجهزة الاتصال ؟

صاح (خالد) وقد تملّكه الجزع :

— إنها تعمل جميعها بصورة جيّدة يا (نور) ، ولو أن العطل فيها لسمعت أنا أيضًا الرّنين .. عُدْ بسرعة ياصديقى .

شعر (نور) بالرّنين ينتقل إلى أطرافه ، بشكل لم يسبق له الشعور به من قبل ، ووجد جسده يرتجف ، وأسنانه يصطك بعضها ببعض ، وسرت فى جسده برودة غريبة ، وهو يهتف فى صوت مرتعد :

— أوقف هذا الرنين يا (خالد) .. إنه يشمل جسدى بأكمله .. أوقفه .

صرخ (خالد) ، وقد بلغ خوفه وجزعه مداه :

— رباه !! ساعدنا يا إلهى !! عُدْ يا (نور) .. تغلّبْ على هذا الشعور وعُدْ .

ولكن (خالد) لم يتلقَّ جوابا على الإطلاق ، فهتف من أعماقه :

— رباه !! (نور) .. ؟؟

ثم انطلق جزعا إلى غرفة المقدّم (مجدى) ، فأيقظه صائحا :

— لقد فقدت الاتصال مع (نور) يا سيّدى .. لقد فقدناه فى الفضاء .

قفز المقدّم (مجدى) من فراشه بقامته الفارهة ، وكتفيه العريضتين ، وملامحه القوية ، وشاربه الكثّ ، وداعب شعره المجعّد الكثيف ، وهو يهتف :

— كيف حدث هذا ؟.. لم غادر المحطة أساسا ؟

شرح له (خالد) الأمر فى كلمات موجزة سريعة ، ولم يكد ينتهى حتى اندفع الاثنان يرتديان زىّ الفضاء ، وينطلقان خارج المحطة بحثا عن (نور) ، ولكنهما لم يجدا أدنى أثر له ، بعد بحث استغرق نصف ساعة كاملة ، إلى أن هتف (خالد) بصوت تملؤه الدموع :

— يا إلهى !! لقد فقدناه !! لقد اختفى فى الفضاء .

ارتعد جسد (مجدى) ، وهو يتأمّل الفضاء الشاسع فى قلق ، هاتفا :

— رباه !! لقد فقد السيطرة على آلات الدفع النفّاثة ، فاندفع جسده سابحا فى الفضاء إلى ما لانهاية .. ماذا نفعل يا إلهى ؟

سالت الدموع على وجنتى (خالد) ، وهو يقول :

— لم يكن لديه ما يكفيه من الأكسوجين حتى هذه اللحظة .. لا فائدة يا سيّدى .. لقد لقى الرائد (نور) حتفه مختنقا فى الفضاء الشاسع .

* * *

٢ ــ مفقود فى الفضاء ..

اندفعت المهندسة (سلوى) ، زوجة الرائد المفقود (نور الدين) إلى غرفة الدكتور (رمزى) ، فى مستشفى (قصر العينى) ، وصاحت وهى تبكى فى ألم ومرارة :

ــ هل علمت بما أصاب (نور) يا (رمزى) ؟

ربّت (رمزى) على كتفها قائلاً فى حزن :

ــ نعم يا (سلوى) ، لقد علمت الأمر ، ونحن نبحثه منذ ساعة على الأقل .

تنبهت (سلوى) فى تلك اللحظة إلى وجود شاب وسيم ، رياضىّ القوام ، متوسط الطول ، أبيض البشرة ، ناعم الشعر أسوده ، له شارب أنيق أسفل أنفه المستقيم ، يقف فى أدب واضح .. قدمه إليها (رمزى) قائلا :

ــ الرائد (وائل) من القوات الفضائية العسكرية يا (سلوى) .. إنهم مهتمون بالأمر للغاية .

صافحها الرائد (وائل) ، قائلاً فى لهجة مهذبة :

ــ تقبلى أسفى يا سيدتى

قالت (سلوى) فى جفاء :

ــ وهل سيعيد ذلك (نور) إلى ابنته ؟

صمت الجميع لحظة ، ثم قال (رمزى) :

ــ هذه المعاملة الجافة أيضًا لن تعيده يا (سلوى) ، ومن الأفضل أن نتعاون جميعًا .. إنك الشخص الذى نحتاج إليه فى هذه اللحظة .

سألته (سلوى) فى دهشة :

ــ أنا ؟!

أجابها الرائد (وائل) فى هدوء :

ــ هذا صحيح يا سيدتى .. لقد لجأنا إلى الدكتور (رمزى) ، بصفته خبيرًا فى الطبّ النفسى ، وزميلاً للرائد (نور) فى معظم مغامراته .

غمغمت (سلوى) :

ــ لم أفهم بعد .

قال (رمزى) :

ــ سأشرح لك الأمر يا (سلوى) .. لقد اقترن اختفاء (نور) بعدة ظواهر عجيبة ، تثير الدهشة ، ومن هذه الظواهر ما تعرّض له (نور) وحده ، وأدلى به من خلال أجهزة الاتصال الصوتى قبل أن نفقده .. والتوصُّل إلى تفسير صحيح يحتاج إلى معرفة شخصية (نور) ، للتأكد من معنى كل كلمة تفوّه بها ، خشية أن يؤدّى الخوف أو القلق إلى قول أو شرح ظواهر لم تحدث فى الواقع .

قالت (سلوى) :

ــ إن (نور) لا يخطئ فى شرح أو نقل أمر ما ، فى أشد اللحظات حرجًا وخطورة .

قال الرائد (وائل) :

ــ هذا ما نحتاج إلى معرفته يا سيّدتى .. ستستمعين معنا مرة أخرى إلى التسجيلات التى حصلنا عليها ، وأقوال الرائد (خالد) ، والمقدّم (مجدى) ، ثم نتشاور فى الأمر معًا .

* * *

انتهى الجميع من سماع التسجيلات ، والأقوال ، وساد صمت قلق استمر طويلًا ، وكل من الثلاثة يتحاشى النظر إلى وجهى زميليه ، إلى أن قطع الرائد (وائل) حَبْل الصّمت قائلًا :

ــ ما رأيك فيما سمعت يا سيّدتى ؟

قالت (سلوى) ، وهى تهز رأسها فى حيرة :

ــ ما دام (نور) قال إنه يسمع رنينًا ، فالأمر كذلك ولا شك .

قال (رمزى) :

ــ برغم أن الصوت لا ينتقل إلى الفضاء ؟

هزّت كتفيها قائلة :

ــ قد لا يكون صوتًا بالمعنى المفهوم .

سألها (وائل) فى اهتمام :

ــ ماذا تعنين يا سيّدتى ؟

تردّدت (سلوى) لحظة ، ثم قالت :

— من المعروف علميًا أيها الرائد ، أن الصُمّ يمكنهم سماع صوت الكمان مثلا ، لو أنهم عضوا على طرفه بأسنانهم . فالصوت فى هذه الحالة ، ينتقل عبر عظامهم على هيئة موجة أو تردُّد ، ينتقل مباشرة إلى مركز السمع فى مخهم ، وهذا ما أقصده بقولى إنه ليس صوتًا بالمعنى المفهوم .

عاد (وائل) يسألها ، وقد بلغ منه الاهتمام مبلغه :

— مزيدًا من التفسير يا سيّدتى .

قالت (سلوى) :

— أعنى أنه من الممكن أن ينتقل تردُّد ما ، إلى السطح الخارجى لرداء الفضاء ، وبالتالى إلى جسد (نور) .. ولو أن التردُّد قوى ، فإنه سينتقل عبر عظامه إلى مراكز السمع ، على هيئة صوت أو رنين صامت .

غمغم (وائل) فى دهشة :

— رنين صامت ؟!.. يا له من تعبير عجيب !!

ثم نهض ، وهو يستطرد فى جدّية :

— ولكن هذا التفسير سيفيدنا كثيرًا يا سيّدتى ، حينما ننتقل إلى هناك .

نهض (رمزى) بدوره ، وهو يسأله :

— إلى أين أيها الرائد ؟

أجابه (وائل) :

— لقد كلفت التحقيق فى الأمر ، فى مسرح الحادث نفسه يا دكتور (رمزى) ، فأجهزتنا الفاحصة الفضائية ، تؤكد ظهور كوكب أو كُوَيكب صغير ، فى المنطقة التى رأى فيها طاقم (قاهرة ٧) هذا النجم الغامض ، الذى سبق اختفاء الرائد (نور) .. كما علىّ فحص الاحتمال الثانى أيضًا .

قال (رمزى) فى اهتمام :

— حسنًا .. سأصحبك إلى هناك .

صاحت (سلوى) فى حماس :

— وأنا أيضًا .

اتسعت عينا الرائد (وائل) ، وهو يقول :

— ولكن هذا مستحيل يا سيدى ويا سيدتى .. إنها عملية حكومية و .....

قاطعه (رمزى) ، قائلاً :

— سأحصل على إذن بذلك ، من القائـــد الأعلى للمخابرات العلمية أيها الرائد .

غمغم (وائل) :

— ولكنك لم تشف بعد من إصابتك فى المغامرة الماضية ، وزميلكم (محمود) ما زال فاقد الوعى بعد إصابته و ....

عاد (رمزى) يقاطعه فى حزم :

— سنذهب معًا أيها الرائد .

صمت الرائد (وائل) لحظة ، ثم هز كتفيه ، وقال :

— لو أمكنك الحصول على التصريح اللازم ، فلن يمكننى سوى الموافقة يا دكتور (رمزى) .

قطبت (سلوى) حاجبيها ، وهى تسأله فى حدة مفاجئة :

— لحظة أيها الرائد .. ما الاحتمال الثانى الذى ذكرته منذ لحظات ؟

تردد الرائد (وائل) بعض الوقت ، ثم قال فى صوت خفيض :

— هناك احتمال ضئيل ، فى أن يكون أحد النيازك الميكروسكوبية قد اخترق رداء الفضاء ، الذى كان يرتديه الرائد (نور) ، وأدى نقص الأكسوجين الذى تسرب من الرداء إلى إحساس الرائد المفقود بالبرد الشديد ، كما أدى نقص الأكسوجين الذى يصل إلى المخ ، إلى إحداث بعض الاضطرابات الحسية ، وخلل الحواس ، مما أوحى له بسماع ذلك الرنين الصامت .

اتسعت عينا (سلوى) رعبًا ، وهى تتصور تلك النهاية البشعة لزوجها وسط الفضاء الكونى الشاسع ، وانتزعها (وائل) من رعبها وهو يغمغم فى أسف :

— معذرة يا سيدتى ، ولكنه أكثر التفسيرات قبولاً .

* * *

٤ ــ مقبرة الفضـــاء ..

انساب مكوك الفضاء المصرى فى هدوء ونعومة ، داخل ممرّ الهبوط الخاص ، فى محطة شرطة الفضاء (قاهرة ٧) ، ولم يكد يستقر ساكنًا حتى أغلقت بوابة الممرّ الضخمة خلفه ، وبدأ ضخ الأكسوجين فى هدوء ، حتى تعادل الهواء والضغط داخل ممرّ الهبوط ، بما يسمح لركّاب المكّوك بالخروج ، دون أردية خاصّة ، حيث استقبلهم الرائد (خالد) ، والمقدّم (مجدى) ، فى وجوم وأسف ، وقال الرائد (خالد) وهو يصافح (سلوى) :

ــ لقد تحدّث عنك زوجك كثيرًا يا سيّدتى ، ولم أكن أودّ أن تكون مقابلتنا الأولى فى مثل هذه الظروف .

قالت (سلوى) فى حزم :

ــ سيعود ليتحدّث عنّى أكثر يا سيّد (خالد) .

نظر إليها الجميع فى إشفاق ، وقال الرائد (وائل) ، محاولًا الابتعاد عن هذا الحوار الحزين :

ــ ماذا عن ذلك الكُوَيْكب المجهول ؟

أجابه المقدّم (مجدى) فى هدوء :

ــ إنه لم يتحرّك قيد أُنمُلة منذ اختفى الرائد (نور) ، وهذا يؤكد أنه ليس نيزكًا أو مُذنّبًا جديدًا ، كما توقع هو قبل وفا .. أقصد قبل اختفائه .

ساد الصمت فترة ، ثم عاد (وائل) يسأل :

ــ وهل عادت شاشة المراقبة إلى العمل ؟

أجابه (خالد) :

ــ فورًا يا سيّدى .. أقصد أننا حين عودتنا بعد التأكُّد من اختفاء الرائد (نور) ، وجدنا الشّاشة تعمل بكفاءة .

سأله (رمزى) :

ــ هل فحصتم سطح الكُوَيْكب ؟

هزّ (مجدى) كتفيه ، وقال :

ــ الجزء الذى يواجه شاشاتنا يبدو عاديًا جدًا ، كأى كُوَيْكب مهجور .. إنه أقرب شبهًا بقمرنا الأرضى .

سأله (وائل) فى اهتمام :

— وماذا عن الوجه الآخر للكُوَيْكب ؟

مطَّ (مجدى) شفتيه ، وقال :

— لو أن لديك ما يكفى من الوقود ، يمكننا الانطلاق لفحصه بواسطة مكّوك الفضاء هذا أيها الملازم .

قال (وائل) فى حزم :

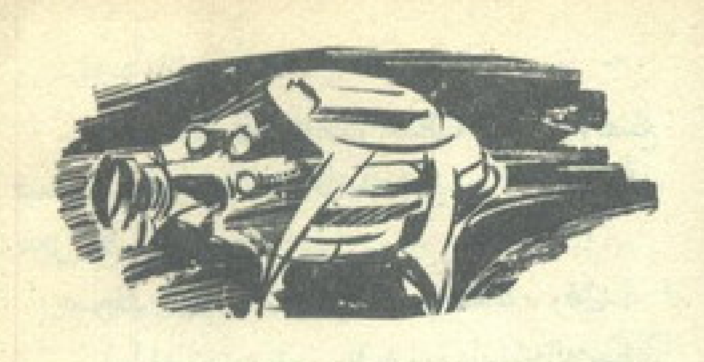
— فلنبدأ فورًا إذن يا سيادة المقدم .

* * *

سبح مكُّوك الفضاء فى هدوء ، نحو الكُوَيْكب المجهول براكبيه : (وائل) و (مجدى) ، وقال الأخير وهو يقوده فى مهارة مثيرة للإعجاب :

— لقد استغرقت الرحلة نصف ساعة فقط ، وها نحن أولاء ندور حول الكُوَيْكب أيها الرائد .

قال (وائل) وهو يفحص سطح الكُوَيْكب ، من خلال شاشات الرؤية المقرِّبة :



— إنه يبدو ساكنًا مهجورًا من هذا الجانب .. تُرى ، ماذا نجد حينما ندور حوله ؟

مطَّ (مجدى) شفتيه قائلًا :

— وماذا تتوقَّع أن تجد ؟!.. عدة فوّهات بركانية خامدة ، وآثار نيازك مرتطمة به كهذا الجانب .

دار المكُّوك حول الكُوَيْكب فى هذه اللحظة ، وقال (وائل) وهو يتأمَّل سطح الجانب الآخر منه :

— هذا صحيح .. ولكن ....

سأله (مجدى) :

— ولكن ماذا أيها الرائد ؟

تردّد (وائل) لحظة ، ثم قال :

— هناك عدة فوّهات تبدو منتظمة للغاية ، وتصنع فيما بينها دائرة أنيقة ، إلى حدّ يدهشني معه أن يكون ذلك بفعل الطبيعة .

ضحك (مجدى) ضحكة قصيرة للغاية ، وقال :

— لو أنك زرت سواحل (إفريقيا) و (أمريكا اللاتينية)، لوجدت تماثيل منسّقة رائعة ، من صنع الطبيعة أيها الرائد .

غمغم (وائل) ، وهو يتأمل التوزيع العجيب للفوهات :

— ربّما أنك على حق يا سيّدى .

أجابه (مجدى) ، وهو يدير المكّوك عائدًا إلى (قاهرة ٧) .

— لقد انتهى البحث أيها الملازم .. كل ما نجحنا فى العثور عليه ، هو كُوَيْكب جديد .

* * *

التقى حاجبا (سلوى)، وهى تقول فى غضب :

— ماذا يعنى هذا ؟.. هل كنتم تتوقّعون العثور على (نور) فى ذلك الكويكب المجهول ؟

أجابها (وائل) فى لهجة توحى بالأسف :

— الأمر لايتعلّق بالعثور على الرائد المفقود فقط يا سيّدتى ، ولكنه يتضمّن أيضًا استكشاف هذا الكُوَيْكب المجهول .

أشاحت (سلوى) بوجهها غاضبة ، على حين توجّه (رمزى) بالسؤال إلى الرائد (وائل) ، قائلًا فى اهتمام :

— هل عثرتم على سبب دخول هذا الكُوَيْكب المجهول إلى مجموعتنا الشمسية ؟

هزّ (وائل) رأسه نفيًا ، وقال :

— ولا حتى سبب توقّفه المفاجئ هذا يا دكتور (رمزى) .

ساد الصمت طويلًا بمزيج من الوجوم ، إلى أن قال (رمزى):

— هل يمكننى فحص صور الكُوَيْكب يا سيادة الرائد ؟

قال (مجدى) فى دهشة :

— هل تتوقَّع العثور على الرائد المفقود هناك ؟

ابتسم (رمزى) ابتسامة شاحبة ، وهو يجيبه قائلًا :

— إن لدىّ نظريّة عجيبة ، أريد التحقُّق منها يا سيِّدى .

حدّق الجميع فى وجهه بدهشة ، على حين صاح (مجدى) فى حنق :

— إنك لن تجد الرائد (نور) هناك ، أيها الطبيب النفسى .. إن ما تفكّر فيه مستحيل .. مستحيل تمامًا .

* * *



٤ — لقاء مع العالم الثانى ..

انجاب الرَّنين فى بطء عن عقل (نور) ، وبدأ يستردّ حواسَّه المشوَّشة ، فباعد جفنيه فى صعوبة ، ولم يكد بصره يقع على المشهد الممتد أمامه ، حتى اتسعت عيناه فجأة عن آخرهما ، وكاد يقفز من مكانه ، لولا أن كشف أنه مقيَّد إلى الفراش العجيب الذى يستلقى فوقه بشىء بدا له غير مألوف أو معروف ، واستعاد ذهنه صفاءه دفعة واحدة ، فاسترخى ، وبدا يتأمَّل ما حوله فى هدوء ، لا يخلو من الدهشة والخوف ..

كان يرقد على فراش له ملمس المخمل الدافئ ، ولكنه أكثر نعومة ، مصنوع من مادة لَمْ يَرَ لها (نور) مثيلًا من قبل ، وقد شُدَّ جسده إلى فراشه بسيور من معدن مضىء ، له بريق أزرق هادئ ، وفوق جسده تدلَّى ما يشبه مصباحًا ضخمًا له لون فيروزى .. أما المكان نفسه فيوحى بأنه

معملٍ أو سفينة فضاء متطوِّرة للغاية ، تتناثر فيها أجهزة عجيبة ، تفوق إدراك (نور) بكثير ، وإن شدَّ انتباهه منها جهاز يشبه شاشات (الهولوفيزيون) ، أو التليفزيون المجسَّم ، تتحرَّك فوقه فقاعات عجيبة ، لها بريق وردىّ أخّاذ ، وهى تتحوَّل تدريجيًا وفى هدوء ورتابة من اللون الذهبىّ إلى البنفسجى ، إلى الفضىّ ..

وعلى بعد عشرة أمتار من الفراش الشبيه بالمخمل وقف رجلان ، أو هما شيئان أو مخلوقان لهما شكل يشبه البشر ، من حيث التكوين العام ، والأطراف الرُّباعية ، والعنق والرأس ، ولكن العنق يبدو أطول من المألوف ، وأطراف الذراعين تنتهى بثلاثة أصابع بدلًا من خمس ، على حين يبدو الرأس أطول من البشر ، وهو خالٍ من الأذنين ، تبدو العينان فيه وكأنهما تملآنه عن آخره ، ووسطهما يبدو الأنف صغيرًا منمنمًا ، ومن أسفله شقٌّ طويل ، كفم بلا شفتين ..

اقترب المخلوقان من (نور) فى هدوء ، وتنبَّه هو فى تلك

اللحظة إلى أنه يرقد عاريًا ، إلا من سروال قصير ، وتعلَّقت عيناه بوجه المخلوقين العجيب ، ورأى أحدهما يلتفت إلى الآخر ، ثم يعاود النظر إليه ، وشعر (نور) بصوت يقول :

— إهدأ .. إنه مجرَّد فحص عادىّ .

نعم .. شعر (نور) ولَمْ يسمع ؛ إذ أن شفتى المخلوق لَمْ تتحرَّكا مطلقًا ، وإنما بدا وكأن العبارة خرجت من عقله إلى عقل (نور) مباشرة ، وخاطبت مشاعره دون الحاجة إلى صوت ، أو لغة مشتركة ..

كان المخلوق الفضائى يتحدَّث عن طريق تبادل الخواطر فقط ، وكانت طريقته ناجحة للغاية ، فقد شعر (نور) بهدوء عجيب يسرى فى أطرافه ، وتحدَّث بعقله أيضًا قائلًا :

— أين أنا ؟.. وماذا يعنى هذا ؟

تبادل المخلوقان النظر بأعينهما الواسعة العجيبة ، ثم قال المخلوق الثانى ، مخاطبًا عقل (نور) أيضًا :

— أنت داخل سفينتنا الفضائية .. إننا نجوب الكون منذ قرابة ألفى عام من زمنكم بحسب ما فهمنا من عقلك .

وجد (نور) نفسه يهتف فى دهشة :

ــ ألفا عام ؟

عادت تلك اللغة الصامتة تنساب إلى عقله فى هدوء ، قائلة :

ــ استخدم عقلك فقط يا صديقى .. هذا ما كشفه علماؤنا منذ زمن طويل .. فمخلوقات الكون تختلف فيما بينها فى اللغات المنطوقة ، ولكن كل الكائنات المفكّرة تتحدث لغة عقل واحدة ، وهى الوسيلة الوحيدة للتفاهم بين الحضارات المختلفة .

عاد (نور) يستخدم عقله ، قائلاً :

ــ من أين أتيتم ؟

أجابه المخلوق الأول :

ــ سنخبرك فور انتهائك من ارتداء ثوبك .

ثم مسّ الفراش المخملى الملمس بإحدى أصابعه الثلاث .. وفى الحال انزاحت السيور المضيئة عن أطراف (نور) ، ووجد نفسه حرًّا ، فنهض فى مرونة ، وتناول

رداءه من طرف الفراش ، وشرع يرتديه فى سرعة .. ولم يكد يتناول خوذته ، حتى هتف عقله :

ــ عجبًا .. لقد كنا نتحدث دون الحاجة إلى الأكسوجين .. إنكما تتنفسان أيضًا .

أجابه المخلوق الأول ، الذى بدا أكبر سنًّا وحكمة :

ــ لقد أدهشنا ذلك أيضًا ، حينما بدأنا فحصك ، فور إحضارك إلى هنا .. أنت أول مخلوق عاقل يتنفس الأكسوجين مثلنا تمامًا ، وبنفس نسب العناصر الأخرى فى الهواء عندنا .

أكمل المخلوق الأصغر سنًّا حديث زميله :

ــ ولكن لا ريب أن استهلاك خلاياكم له مرتفع للغاية ، فلقد أثبتت فحوصنا لك قبل استيقاظك ، أن خلاياك تنمو وتتكاثر بسرعة ، تبدو لنا مذهلة ، وأن متوسط الأعمار فى كوكبك لا يزيد على سبعين عامًا فقط .

سأله (نور) :

ــ وكم يبلغ عندكم ؟

أجابه المخلوق الأصغر فى هدوء :

ــ حوالى ستة آلاف عام من زمن كوكبك .

صمت (نور) قليلًا .. أو فلنقل صمت عقله ، قبل أن يقول من خلاله :

ــ من أين أنتما ؟ وكيف تبدو سفينتكما ؟

تبادل المخلوقان النظر مرة ثانية ، ثم أشار أحدهما إلى (نور) أن يتبعه ، فأطاعه (نور) إلى طرف الحجرة الواسعة ، حيث ضغط المخلوق زرًا ، فتكوّنت عدة نجوم مجسّمة فى هواء الحجرة ، على حين بدا كوكب أزرق واضح وسطها ، أشار إليه المخلوق قائلًا :

ــ هذا هو كوكبنا .

ثم أشار إلى النجوم ، سائلًا من خلال حواره الصامت :

ــ هل يمكنك معرفة شمسكم على هذه الخريطة الفضائية ؟

تأمّل (نور) الخريطة الفضائية المجسّمة فى إمعان ، ثم هزّ رأسه قائلًا :

ــ إنها لا تشبه أيًا من خرائط الفضاء التى درستها .. عجبًا .. إنها تبدو وكأنها من عالم آخر .

قال المخلوق الأكبر سنًا :

ــ أو من زاوية أخرى .

اتسعت عينا (نور) علامة الفهم ، وهتف :

ــ مهلًا .. هذا صحيح .

ثم تنبّه إلى عدم جدوى الحديث المسموع ، فعاد إلى الحوار الصامت من خلال عقله ، قائلًا :

ــ هذا صحيح ومنطقى .. إنكم حينما تضعون خريطة فضائية ، فإن ذلك يكون من حيث تنظرون إلى النجوم ، لا من حيث ننظر نحن ، وهكذا فإن هذه الخريطة تبدأ من كوكبكم لا من الأرض .

تبادل المخلوقان النظر ، ثم قال أحدهم عقليًا :

ــ تفكير رائع ينمّ عن عقلية متطوّرة .. إنك النموذج الأوّل من هذا النوع .

أشار (نور) إلى الخريطة الفضائية ، وقال محدثًا نفسه :



ــ ولكن هذا عجيب .. لو أن المعلومات التى ذكرتها صحيحة ، فهذا يعنى أنكم تبعدون عنا بملايين السنوات الضوئية ..

ــ هذا الغاز المشع المحيط بمجرتكم ، وذلك التوهج الأحمر فى أطرافها ، يشير إلى سديم نطلق عليه اسم (الجرس الأخرس) ، من مجموعة مجرات تحمل اسم (الثعلب) ..

وصمت عقله قليلاً ، ثم قال وقد نمت ملامحه على الدهشة :

ــ ولكن هذا عجيب .. لو أن المعلومات التى ذكرتها صحيحة ، فهذا يعنى أنكم تبعدون عنا بملايين السنوات الضوئية .. ولو أن الأمر كذلك ، فمن المستحيل وصولكم إلينا فى ألفى عام فقط ، حتى ولو انطلقت سفينتكم بسرعة الضوء .

عاد المخلوقان يتبادلان النظر ، ثم قال الأصغر :

ــ لسنا نفهم ذلك المصطلح الذى استخدمته ، ولكن المسافة من هنا إلى كوكبنا لا تستغرق أكثر من عشرة أعوام من زمنكم الأرضى .

قال (نور) :

ــ هذا مستحيل ، لا توجد سرعة تفوق سرعة الضوء .

قال المخلوق الأكبر سنًا :

ـــ بالطبع لا توجد سرعة تفوق ذلك ، ولكننا ننطلق إلى كوكبنا من عكس الاتجاه الذى تعرفونه .

سأله نور :

ـــ ماذا يعنى هذا ؟

أجابه المخلوق من خلال حديثهما العقلى الصامت :

ـــ إن الكون يشبه الكرة ، وهذا يعنى أن الاتجاه إلى نقطة ما ، قد يستغرق مسافة طويلة للغاية ، لو أننا سرنا فى اتجاه ما ، ولكنه يستغرق وقتًا أقل ، لو أننا اخترنا اتجاهًا آخر .. هل تفهم ذلك ؟

قال (نور) :

ـــ بالطبع .. هذا يشبه خريطة الأرض .. فلو أننا نظرنا إليها ، فسنجد أن المسافة من (الولايات المتحدة الأمريكية) إلى (روسيا) تستغرق وقتًا طويلاً لو أننا سافرنا شرقًا ، ولكنها تستغرق لحظات فى حال السفر غربًا .. لقد فهمت نظريتكم .

خُيِّل لـ (نور) أن المخلوق ابتسم ، وهو يقول :

ـــ ذكاء رائع .. سيسعد ذلك علماء كوكبنا .. لا شك أن فحصك سيروق لهم كثيرًا .

شعر (نور) بالقلق ، وهو يسأله :

ـــ ماذا يعنى هذا ؟

أجابه المخلوق فى صمت عبر عقليهما :

ـــ يعنى باختصار أننا سنصحبك إلى كوكبنا .. إنك عيِّنة نادرة ، لا يمكننا الاستغناء عنها أبدًا .

* * *



٥ ـــ الجبــابرة ..

انتحت (سلوى) ركنًا من جانب حجرة المراقبـة ، وولَّت بصرها شطْر الرجال الأربعة ، الذين اندمجوا فى مناقشة حامية .. كان (رمزى) يقول :

ـــ هذا واضح للغاية يا سيِّد (مجدى) .. أو أننى أراه كذلك .. إن سطح هذا الكُوَيْكب ليس طبيعيًا على الإطلاق .

قال المقدَّم (مجدى) فى حدَّة :

ـــ هذا الذى تقوله يحتاج إلى خبير فلكىّ يا سيِّد (رمزى) ، ولن يمكنك أن ....

قاطعه (رمزى) ، قائلًا فى هدوء :

ـــ دَعْنا نناقش الأمر مناقشة موضوعية ، دون تزمُّت أو حساسية يا سيادة المقدَّم .. سأشرح لك الأسباب التى دَعَتنى لهذا القول .

ثم تناول مجموعة الصور المتراصَّة على المنضدة ، وقال وهو يشير إلى إحداها :

ـــ انظر إلى هذه الصورة يا سيادة المقدَّم .. إن سطح الكُوَيْكب يبدو أملس ناعمًا أكثر مما يمكن حدوثه فى الحقيقة ، كما أن الفُوَّهات البركانية موزَّعة فوقه بتنسيق عجيب ، على السطح المواجه لنا .

وأشار إلى صورة أخرى مكمِّلًا :

ـــ هذه الصورة للجانب الآخر منه ، تبدو فيها الفُوَّهات البركانية متراصَّة على شكل دائرة ، مِمَّا يوحى بأنها تستخدم لغرضٍ ما .

غمغم (خالد) فى دهشة :

ـــ أى غرض ؟!!

أسرع (رمزى) يقول :

ـــ نعم أيها الرائد .. لو افترضنا أن ذلك الترتيب قد تمَّ عشوائيًا ، فسيثير دهشتنا أن تكون أقطار الفُوَّهات كلها متساوية تمامًا ، كما أسفر عنه الفحص الكمبيوترى للصُّور .

قال (مجدى) فى ضجر :

ــ ماذا تريد أن تقول فى اختصار ؟

ابتسم الرائد (وائل) ، وهو يقول :

ــ سأشرح لك ما اتفقنا عليه أنا والدكتور (رمزى) يا سيادة المقدّم .. إننا نقول إن هذه الفوّهات التى تشكّل دائرة منتظمة ما هى إلا فتحات للدفع .. أو بمعنى أدق فوّهات عادم وقود ما .

اعتدل المقدّم (مجدى) وهو يحدّق فيهما ، صائحًا فى ذهول :

ــ هل تعلم ماذا يعنى رأيكما هذا ؟

ابتسم (رمزى) ، وهو يقول فى هدوء :

ــ نعم يا سيادة المقدّم .. إنه يعنى أن هذا الكوَيْكب ما هو إلّا سفينة فضاء متطوّرة من عالم آخر ، ولو صحّ هذا القول ، فمن الممكن أن نعثر على الرائد (نور) حيًّا يرزق .

* * *

رأى (نور) المخلوق الأكبر سنا ، يقترب من ذلك الجهاز الشبيه بالـ (هولوفيزيون) ، ويحرّك راحته ذات الأصابع الثلاث فوقه .. وفى الحال بدأت تلك الفقّاعات فى التحوّل عبْر ألوانها الثلاثة الذهبىّ والبنفسجىّ والفضّىّ فى سرعة ، وتحوّل بريقها من اللون الوردىّ إلى الأحمر الدّاكن ، وأخذت الفقّاعات تدور حوْل نفسها فى سرعة مشكلة دائرة منتظمة ، استنتج منها (نور) أن سفينة الفضاء تدير محركاتها ، استعدادًا للانطلاق إلى كوكبها الأم ، وكان هذا يعنى أن ينسلخ هو عن كوكبه إلى الأبد ، ويتحوّل إلى فأر تجارب فى سديم (الجرس الأخرس) ، ورفضت طبيعته العنيدة هذه النهاية ، وانطلق عقله يبحث عن وسيلة للخلاص ، فأسرع يقول من خلال حوار عقلى :

ــ لحظة يا سادة .. من قال إننى أوافق على مرافقتكم ؟

أجابه المخلوق الأصغر :

ــ ليس لك الخيار أيها الأرضىّ .

اشتعلت روح التحدى فى قلب (نور) ، فهتف بصوت مسموع :

ـــ ستحصلون إذن على جثة هامدة .

ثم قفز فجأة نحو المخلوق الأكبر سنًا ، الذى يدير محركات السفينة الفضائية ، وجذبه بعيدًا عن الجهاز الشبيه بالـ (هولوفيزيون) .. وفى الحال توقفت الفقاعات عن الدوران السريع ، وعادت تختلط فى أشكال غير منتظمة ، ولكن المخلوق بسط ذراعه فجأة عن آخرها ، ودفع (نور) دفعة ، خُيّل لبطلنا وقتها أن ذراع المخلوق عبارة عن (بلدوزر) ضخم ؛ إذ ألقت به تلك الدفعة بعيدًا إلى طرف القاعة ، وشعر برأسه يدور وهو يحاول النهوض ، ولكن المخلوق الأكبر سنًا انتزع من حزامه شيئًا يشبه الكرة ، صوّبه نحو (نور) فى هدوء .. وعلى الفور شعر (نور) بشىء عجيب يغمره ، ويأسر كيانه بأكمله ، فاسترخت عضلاته ، وسقط أرضًا ، إلا أن عقله ظل يعمل بكفاءة ، حتى أنه تلقى رسالة المخلوق العقلية ، وهو يقول :

ـــ هل رأيت أنه ليس لديك الخيار ، أيها المخلوق الأرضى ؟

استجمع (نور) قواه العقلية ، ليقول :

ـــ لن يسمح لكما رفاق على سطح محطتنا الفضائية بذلك .. سيقاومونكما ، سيشنون عليكما حربًا لا هوادة فيها .

خُيّل إليه أن المخلوقين ابتسما ، وهما يتبادلان النظر بعيونهما الواسعة ، قبل أن يحادث أصغرهما عقل (نور) قائلًا :

ـــ إننا ننتظر ذلك بفارغ الصبر .. وسيكون ذلك من سوء حظهم .

* * *

أخذ المقدم (مجدى) يذرع غرفة المراقبة فى صمت ، وملامحه تعبر عن القلق البالغ ، والتفكير العميق فى آن واحد ، على حين لزم الباقون الصمت ، وهم يراقبونه فى انتباه ، إلى أن قال فى اهتمام :

— إن التفكير فى كون هذا الكُوَيْكب مجرد سفينة فضاء ، يبقى لنا عدّة نقاط دون تفسير أيها السادة .. أولها ذلك (الرّنين الصامت) ، الذى شعر به الرائد (نور) قبل اختفائه .

قالت (سلوى) ، وقد بدأ الأمل ينتعش فى صدرها :

— لدىّ أنا تفسير لهذه النقطة يا سيادة المقدّم .

التفت إليها الجميع فى ترقّب وانتباه ، فقالت :

— هناك تجارب عديدة تجرى منذ عشرات السنين ، حول ما يسمّى (بالانتقال الآنى) ، وهو يعتمد على نقل الأجسام عن طريق خلخلة جزيئات الجسم المراد نقله ، ونقلها عن طريق شعاع إليكترونى خاص ، حيث يعاد تجميعها فى أنبوب خاص .

قال الرائد (وائل) ، وهو يقطّب حاجبيه فى ارتياب :

— ولكن هذه التجارب لمْ تنجح حتى الآن .

قالت (سلوى) :

— بالعكس .. لقد نجحت هذه التجارب منذ عام ألف وتسعمائة وثلاثة وثمانين فى نقل الأجسام الصلبة ، وما زال العلماء منذ ذلك الحين يواصلون تجاربهم ، لنقل الأجسام الحيّة ، ولو تصوّرنا حضارة تفوقنا تقدُّمًا بكثير ، فمن الطبيعى أن نجد لديها جهازًا من هذا النوع .

قال المقدّم (مجدى) فى ضجر :

— وما علاقة ذلك بـ (الرنين الصامت) ؟

أجابته فى لهجة أستاذ ، يشرح نقطة غامضة لتلامذته :

— تسليط أشعة (الانتقال الآنى) على جسم ما ، يصنع ارتجاجًا عاليًا فى هذا الجسم ، ممّا يوحى إليه بسماع رنين قوىّ .. وهذا التفسير يبدو لى منطقيًا .

ساد الصمت طويلاً ، عاد (مجدى) يقول :

— وكيف يمكننا إثبات ذلك ؟

تنحنح (رمزى) ، وقال :

— لدىّ فكرة أيها المقدّم .

استدار إليه الجميع ، وسأله الرائد (وائل) :

— ماذا لديك يا دكتور (رمزى) ؟.. أفصح .

قال (رمزى) فى هدوء :

— لو أن هذا الكُوَيْكِب هو سفينة فضاء متطوّرة كما تصوَّر ، فإن ملاّحيها لن يقفوا ساكنين أمام هجوم يهدِّد سفينتهم .

اتسعت العيون دهشة ، على حين صاح (مجدى) :

— ماذا تعنى أيها الطبيب النفسى ؟

أجاب (رمزى) فى هدوء :

— أعنى أنه لو كانت القواعد النفسية واحدة بالنسبة للجميع ، فإن الأسلوب الأمثل لكشف طبيعة هذا الكُوَيْكِب ، هو أن نهاجمه بشكل يضطر قاطنوه إلى الدفاع عن أنفسهم .. هذه خطتى باختصار .

* * *

٦ — حرب الكواكب ..

استلقى (نور) فى ركن سفينة الفضاء الكونية ، عاجزًا عن تحريك أطرافه ، ورأى المخلوقيْن يقفان أمام شاشة ضخمة ، لها تألّق فِضّى خافت ، وهما يتبادلان حديثًا مسموعًا ، بدا له كخليط من صفير أجش ، وحشرجة مكتومة ، وإن نمَّ تناسقه وسلاسته على أنه حديث واعٍ عاقل ، ولكنه لم يفهم منه عبارة واحدة بالطبع ..

وأخيرًا .. شعر بالخدر الذى يملأ جسده ، ينحسر فى بطء عن أنامله أوّلًا ، ثم أطرافه .. وشعر وكأن الدّماء الحارّة تعود إلى التدفّق فى عروقه مرة أخرى ، فأخذ يتلفّت حوله بحثًا عن مخرج ، إلى أن وقع بصره على جزء مستدير من الحائط ، يختلف لونه عن لون باقى جدران الحجرة ، واستنتج فى الحال أن هذا الجزء هو المخرج الوحيد للحجرة ، ولكن كيف الوصول إليه ؟.

وبغتة .. تحوّل لون الشّاشة الفضيّة الضخمة إلى اللّون الأبيض الناصع ، وشعّ منها ضوء هادئ ، ثم بدا وكأنما يخرج منها شيء ما .. صورة سوداء تتناثر فيها النجوم البيضاء .. كانت صورة مجسّمة ثلاثية الأبعاد للفضاء المحيط بالسفينة الكونية ، وبدت فى وسطه حزمة من ضوء أحمر ، وذهبيّ تتحرّك نحو منتصف الصورة المجسّمة .. وحينما ركّز (نور) النظر إلى تلك الحزمة ، اتسعت عيناه ذعرًا ؛ إذا تبيّن فيها مكّوك فضاء أرضى ، تظهر الكلمات العربية واضحة على جانبه ، حتى أن (نور) هتف من أعماقه :

ــ ابتعدوا يارفاق .. إنكم تلقون أنفسكم فى التهلكة .. ابتعدوا .

* * *

كان مكّوك الفضاء التابع للسلاح الفضائى المصرى ، يقترب من الكُوَيْكب المجهول ، وعلى متنه المقدّم (مجدى) ، والرائد (وائل) ، والدكتور (رمزى) ، وكان

الأول يقول وهو يقود المكّوك ، بطريقة تنم عن البراعة والثقة والهدوء :

ــ هل فكّر أحدكما فيما يمكن أن يحدث ، لو أن ملّاحى ذلك الكُوَيْكب ردّوا هجومنا بأسلحة تفوقنا تطوّرًا ؟

قال الرائد (وائل) فى هدوء :

ــ أعتقد أنها ستكون النهاية .

وضحك (رمزى) قائلًا :

ــ لن يدهشنى ذلك كثيرًا على أيّة حال .

ابتسم المقدم (مجدى) ، وقال هو يعدّ أسلحته اللّيزرية للإطلاق :

ــ على بركة الله .. فلنبدأ هجومنا .

وبضغطة بسيطة على زرّ صغير فى نهاية عصا القيادة ، انطلق من المكّوك شعاعان من اللّيزر القاتل ، شقّا الفضاء ، وارتطما بسطح الكُوَيْكب ..

اتسعت عيون الثلاثة دهشة ، وصاح (رمزى) :

ــ إنه لم يتأثر على الإطلاق .. عاوِد القذف أيها المقدم .

استجاب (مجدى) لصيحة (رمزى) فى هدوء ، وأطلق دفعة أخرى من أشعة الليزر ، ارتطمت أيضًا بسطح الكويكب ، ثم تلاشت تمامًا ، مخلّفة حالة من الإحباط فى نفوس الرجال الثلاثة ، حتى أنه سادت فترة طويلة من الصمت ، قبل أن يغمغم (وائل) :

— كما لو أننا نطلق قنابل مائية على حائط صلب .

لم يجبه أحدهما فورًا ، بل ساد صمت سخيف ، قطعه (مجدى) متمتمًا :

— سنحاول مرة أخرى ، ثم نعود أدراجنا .

ولم يكد يكمل عبارته ، حتى أطلق أشعتى الليزر اللذين انتهيا كسابقتيهما ، فأدار (مجدى) عصا القيادة فى صمت ، وعاد أدراجه ، وهو يقول فى حنق :

— مهمّة أخرى فاشلة أيها السادة .. لا أحب أن أسمع تعليقًا واحدًا .

* * *

تنهّد (نور) فى ارتياح ، حينما شاهد مكّوك الفضاء الأرضى يبتعد على الشاشة المجسّمة ، واستجمع قواه لينهض

فى هدوء ، وهو يولّى بصره شطر المخرج الدائرىّ ، حينما سمع صوتًا ينساب إلى عقله قائلًا :

— هاقد انصرف رفاقك أيها الأرضى .

استدار (نور) نحو المخلوق فى حدّة ، ولكنه توقّف بغتة واتسعت عيناه دهشة ، إذا وقع بصره على الجانب الآخر من الحجرة ، حيث اصطفت بضع كلمات باللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية) ، وبأعلاها نقشت صورة فرعونية ، بدت له مألوفة ، وتساءل : أين رآها من قبل ، عندما تلقّى رسالة عقلية من المخلوق الأصفر تقول :

— اسمه (تحتمس الثالث) .. لقد التقينا به منذ ثلاثة آلاف وخمسمائة عام من أعوامكم الأرضية تقريبًا .

اتسعت عينا (نور) دهشة ، وقال من خلال عقله :

— يا إلٰهى !! لقد فهمت الآن معنى العبارة المنقوشة على أحد معابده ، والتى تقول : «صعد إلى السماء ،

واتحد مع الإله رع»(*) .. لقد ظنكم آلهة ، نظرًا لتقدُّمكم المذهل بالنسبة له.

قال المخلوق :

ـــ لَمْ يَبْدُ عليه الفزع أو الدهشة لحظة واحدة .. لقد كان ملكًا عظيمًا ولا شك .

لم يسمع (نور) العبارة الأخيرة ، إذ كان ذهنه متجهًا بأكمله إلى المخرج الدائرى وهو يتساءل كيف يمكنه الخروج منه ؟.. وماذا سيجد خلفه ؟.. النجاة أو الموت .

* * *

اقترب مكُّوك الفضاء من محطة الشرطة الفضائية (قاهرة ٧) ، وقد خيَّم الصمت والوجوم على ركابه الثلاثة ، حينما هتف (رمزى) فجأة :

ـــ يا إلهى !! لقد أخطأنا .

سأله الرائد (وائل) فى دهشة :

ـــ ماذا تعنى يادكتور (رمزى) ؟

(*) العبارة صحيحة ومنقوشة بنفس النص ، ويرجح بعض علماء المصريات أنها الدليل على كون (تحتمس الثالث) أول رائد فضاء أرضى .

صاح (رمزى) ، وقد تملَّكه انفعال عجيب مفاجئ :

ـــ لقد أخطأنا التصويب .. عُدْ بنا إلى هناك أيها المقدَّم .

قال المقدَّم (مجدى) ، فى توتُّر وحنق :

ـــ ماذا تعنى أيها الرجل ؟ إننى أجيد التصويب ، قبل أن تقرأ أنت عن ارتياد الفضاء .

ربَّت (رمزى) على كتفه فى مرح ، وصاح :

ـــ معذرة يا سيادة المقدَّم .. لَمْ أقصد ذلك ، ولكننى أريد أن أقول : إننا صوَّبنا على المكان الخطأ .. لا شك أن سطح سفينة الفضاء هذه منيع جدًّا ، ولكن الجزء الضعيف ولا شك هو فوَّهات العادم الخلفية .. دعْنا نعود ونصوِّب أشعتنا داخلها .

ودون أن يتبادلوا كلمة واحدة ، أدار المقدَّم (مجدى) مكُّوك الفضاء الحربىّ ، وانطلق بأقصى سرعة عائدًا إلى الكُوَيْكِب المجهول ، وهو يغمغم :

ـــ أنت على حق أيها الطبيب النفسى .

وبعد فترة قياسية ، وجد ركاب المكُّوك أنفسهم فى مواجهة الكُوَيْكِب المجهول ، ودار (مجدى) حوله فى مهارة ، ثم صوَّب أسلحته اللَّيزرية إلى الفوَّهات الخلفية المنتظمة ، وأطلق أشعَّته فى إحكام ..

شاهد الجميع الارتجاج القوىّ ، ورأوا الكُوَيْكب يهتز ، ثم يعود إلى ثباته ، فصاح (رمزى) فى لهجة توحى بالظفر :

ـــ لقد نجحنا .. سنجبرهم الآن على الدِّفاع .

ولم يكد يتم عبارته ، حتى انطلقت من الكُوَيْكب كرة حمراء ضخمة من مادة شفافة ، اندفعت نحو المكُّوك ، فصاح (مجدى) :

ـــ ماهذا بحقِّ السَّماء ؟ ..

ثم انحرف بالمكُّوك فى مهارة ، وانطلق يناور الكرة الحمراء الشفافة ، التى أخذت تطاردهم فى إصرار ومهارة ، على حين هتف (رمزى) :

ـــ لقد كنَّا على حقّ .. كنا على حقّ يا رفاق .. إنها سفينة فضاء من كون آخر .

صاح المقدَّم (مجدى) ، وهو يواصل مناوراته الانتحارية :

ـــ عليك اللَّعنة أنت وأفكارك أيها الطبيب النفسى .. الله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، ماذا يمكن أن تفعله بنا هذه الكرة الحمراء ، إذا ما ارتطمت بالمكوك .. إن تلك اللعينة تناور بسرعة ومهارة .

* * *

شعر (نور) بقلبه يخفق فى قوة ، وهو يشاهد تلك المناورات الخطرة على الشاشة المجسَّمة ، وأدهشه أن المخلوقين كانا يشاهدان الموقف فى هدوء ، كمن يتابع (فيلمًا) هزليًا ، لا معركة قاتلة فى أعماق الكون .. واتجه تفكيره كله إلى المخرج الدائرى ، ولَمْ يستغرق منه الأمر طويلًا ، فاندفع فجأة نحو المخرج ، ودفعه فى قوة ، ولكنه لم يتحرك مطلقًا ، فانطلق يبحث بكفِّيه عن نقطة ما أو زرّ مَا ، إلى أن عثرت أنامله على بقعة مستديرة ،

فضغطها بأصابع مرتجفة ، فتحركت الدائرة فورًا كاشفة عن مخرج أنبوبى ..

استدار (نور) يتطلّع إلى المخلوقين ، فوجدهما يتابعان المناورة فى اهتمام ، فقفز داخل الممر الأنبوبى ، وأخذ يعدُو بأسرع ما تستطيعه ساقاه .. وفى نفس اللحظة استدار المخلوقان ، ونظرا إلى المخرج الدائرى المفتوح ، ثم التقت نظراتهما وابتسما .

* * *





فقفز داخل الممر الأنبوبى ، وأخذ يعدو بأسرع ما تستطيعه ساقاه .

٧ ـ فى أعماق الكون ..

استمرت المناورة طويلًا ، بين المكُوك الأرضى والكرة الحمراء الشفافة ، وتوتَّرت أعصاب ركَّابه الثلاثة ، وبخاصة المقدَّم (مجدى) ، الذى تصلَّبت أصابعه فوق عصا القيادة ، وهو يحاول فى يأس الالتفاف خلف الكرة ، التى استمرت تلاحق المكُوك فى إصرار ، وقال الرائد (وائل) فى إحباط واضح :

ـ لا فائدة .. إن الكرة تتحرَّك بسرعة مذهلة .

وهنا تعلَّق (رمزى) بذراعه ، صائحًا :

ـ يا إلهى !! هذا صحيح إن الكرة تتحرَّك بسرعة تفوقنا كثيرًا منذ البداية .

صاح المقدَّم (مجدى) فى حنق :

ـ ألَمْ تكتشف ذلك إلَّا الآن ؟

قال (رمزى) ، وقد انتابه مرح مفاجئ :

ـ ألَمْ تفهم ماذا يعنى هذا أيُّها المقدَّم ؟ .. إن الكرة تخفض سرعتها حينًا تتبعنا بالذات ، وكأنها لا تريد الارتطام بنا .. صدِّقونى يا رفاق ، هذا واحد من أساليب الطِّب النفسى الذى أتقنه .. إن ركاب سفينة الفضاء هذه لا يهدفون إلى قتلنا .. إنهم يختبرون صلابتنا فقط .

صاح (مجدى) ، دون أن يزايله حنقه :

ـ وماذا تريد منِّى أن أفعل ؟

هتف (رمزى) :

ـ أوقف المكُوك .. صدِّقنى ، لن تمسَّك تلك الكرة بسوء .

صرخ (مجدى) :

ـ هل جُننت ؟

هتف (وائل) فى اقتناع :

ـ إنه على حقّ يا سيادة المقدَّم .. لو أن الكرة تهدف إلى الارتطام بنا ، لما عجزت عن ذلك .. أوقف المحركات .

صاح المقدَّم (مجدى) فى حنق :

ـ فليكن ، ولتتحملوا النتائج .

وفــوراً اندفـعت الصواريخ المضادة ، وتوقـف مكوك الفضاء المصرى ، وفى نفس الوقت توقفت الكرة الحمراء ، وانسابت فى هدوء إلى مقدمة المكوك ، بحيث رآها الجميع ، ثم تلاشت فى بطء واختفت .

هتف (رمزى) فى ظفر :

ــ لقد كنت على حق .. كنت على حق هذه المرة أيضاً .

صاح (مجدى) و (وائل) فى آن واحد :

ــ ولكن ماذا يعنى هذا ؟

وقبل أن يجيبهما (رمزى) ، انطلق شعاع بنفسجى من أحد الفوهات الزائفة على سطح الكويكب ، وغلف المكوك بضوئه الهادئ ، فصاح (مجدى) فى توتر :

ــ أظنكما توافقان على الحرب هذه المرة .

ثم ضغط الزر المسئول عن إدارة محركات المكوك ، إلا أن صوت المحركات المألوف لم ينبعث إثر الضغطة .. وحاول (مجدى) ، وحاول .. وتوترت أعصابه ، وقد

غمر الضوء البنفسجى كل شىء ، ثم لم يلبث أن استسلم ، وقال وهو يرفع كفه عن عصا القيادة فى يأس :

ــ لا فائدة .. لقد أسرونا .. لقد انتهينا يا رفاق .

* * *

لهث (نور) وهو يعدو داخل الممر الأنبوبى الطويل ، الذى بدا وكأنه لا نهاية له ، بجدرانه المصمتة الخالية من الفتحات ، حتى كاد (نور) يصاب باليأس ، ويفقد الأمل فى النجاة ..

وفجأة بزغ الأمل على هيئة غرفة ضخمة بدت فى نهاية الممر ، وعلى بعد أمتار قليلة من آخر جزء منحن فيه ..

وفى رشاقة أحياها الأمل ، قفز (نور) إلى داخل الحجرة الضخمة ، وتعلق بصره بشكل كروى لامع فى منتصفها ، فأسرع نحوه وهو يقول :

ــ لا ريب أنها مركبة فضاء استكشافية أو شىء من هذا القبيل .

دار (نور) حول الشكل الكروى يفحصه بعينى عالم ،

وخبرة شرطى ، إلى أن عثر على جزء مستطيل فى أحد أطرافه ، فعالجه بأنامله ، وإذا بالشكل الكروى يدور حول نفسه ، ثم ينشقُّ عرضيًا إلى قسمين متساويين ، ارتفع أعلاهما كاشفًا فجوة يتوسطها مقعد صغير ..

قفز (نور) دون تردُّد إلى داخل الكرة ، وثبت جسده فى المقعد .. وفورًا عاد نصف الكرة العلوى ينطبق على توءمه ، ثم تحوّل إلى زجاج شفاف ، وأخذ (نور) يحاول فهم أجهزة القيادة العجيبة داخل الكرة ، ثم ضغط دائرة صغيرة ، تتوسط لوحة القيادة ، فتحرّك سقف الغرفة الضخمة ، كاشفًا الفضاء الشاسع ، بنجومه اللامعة ، مما بعث مزيدًا من الأمل فى نفس (نور) ، الذى هتف :

ـــ يبدو أننا نتفق فى مبادئ تكنولوجية واحدة ، مع سكان الفضاء هؤلاء .

وفى ثقة وجرأة ، ضغط (نور) زرًا آخر ضغطة ، خُيّل إليه بعدها أن رائحة شبيهة بالأوزون قد انتشرت حوله ، ثم ارتفعت الكرة فى بطء عن قاعدتها ، وانطلقت عَبْر فجوة السقف إلى لفضاء الواسع ، فصرخ (نور) جذلًا :

ـــ ها قد نجحت فى هزيمتهم .. لقد فاز كوكب الأرض فى المباراة .

لم يكد يتم عبارته ، حتى وقعت عيناه على مكُّوك الفضاء الأرضى ، المعلّق وسط الضوء البنفسجى ، المنبعث من الكُوَيْكب الزائف ، فصاح من أعماقه :

ـــ يا إلٰهى !! إنهم يأسرون رفاق .

ثم اندفع نحو المكُّوك ، وهو يقول فى عزم :

ـــ لن يأسروا أرضيًا آخر .. لن يحوّلونا إلى فئران تجارب .. لن ..

وفجأة .. بتر (نور) عبارته ، وتألّقت عيناه ببريق مألوف ، لو شاهده رفاقه لاحتبست أنفاسهم ، انتظارًا لما تفترّ عنه شفتاه ، ولكنه فى هذه اللحظة لم يزد عن غمغمة خافتة :

ـــ يا إلٰهى !!

ثم أدار الكرة فى مهارة ، وكأنه يقودها طيلة حياته ، وعاد أدراجه إلى الكُوَيْكب المجهول ، وهو يطلق ضحكة مرحة ، كفيلة بإثارة دهشة أكثر المخلوقات اتزانًا .

أطلق المقدَّم (مجدى) زفرة قوية ، خرجت من أعماق صدره ، حينما عادت الكرة الفضائية أدراجها ، وقال فى ارتياح :

ـ يا إلهى !! ظننت وهلة أن هذه الكرة اللعينة بسبيلها إلى مهاجمتنا ، مستغلَّة تعطُّل وشلل أجهزة مكوكنا تمامًا ، من تأثير هذا الضوء البنفسجى .

قال (رمزى) فى لهجة تحمل حيْرة بالغة :

ـ يدهشنى عدولها عن ذلك أيها المقدَّم .. لِمَ أسرونا إذن ؟

وفجأة .. ساد الوجوم داخل المكوك الفضائى ، ولا ينكر أحد الرجال الثلاثة أن جسده قد ارتعد فجأة ، إذ تحرَّك المكُوك فى بطء نحو الفوْهة الواسعة ، التى ينطلق منها الضوء البنفسجى ، وتزايدت سرعته فى اطِّراد ، وهو يتجه إليها ، حتى أن (وائل) هتف :

ـ يا للسَّماء !! سيتحطَّم المكُوك على سطح هذا الكُويْكب الزائف .

صاح (رمزى) ، وهو يتأمَّل فى خوف الفوْهة التى اقتربت كثيرًا :

ـ بل سنغوص فى الفوْهة .. إنهم يأسروننا بحق .

ولم يكد يتم قوله ، حتى غاص المكُوك وسط شلال بنفسجى اللون ، وأطبقت خلفه الفوْهة تماما .

* * *

وقف المخلوقان الفضائيَّان يتحدَّثان بلغتهما الشبيهة بالصَّفير الأجش ، والحشرجة المكتومة ، وقد استغرقا فى اهتمام بالغ فى فحص بعض المعلومات التى تتراص فوق الشاشة الشبيهة بالـ (هولوفيزيون) ، على هيئة فقاعات ملوَّنة ، حتى أنهما لم يشعرا بتسلُّل (نور) إلى حجرتهما ، حتى انساب إلى عقليهما فكرةُ يقول :

ـ انتهى الأمر أيها الأصدقاء .. لقد فهمت كل شىء .

استدار المخلوقان فى سرعة يواجهانه ، وتحرَّكت يد

أصغرهما ذات الأصابع الثلاثة نحو الكرة المثبتة بحزامه ، ولكنه لم يلبث أن تراجع ، حينما وقع بصره على (نور) .



كان (نور) يقف هناك إلى جوار المدخل الدائرى هادئًا ساكنًا ، وفوق شفتيه تألقت ابتسامة جذابة ، والمدهش أن ابتسامته كانت تحمل الصداقة .. كل الصداقة ولا شىء غير الصداقة .

٨ ــ لقاء الأصدقاء ..

توقف مكوك الفضاء الأرضى ، بعد رحلته عبر فوهة الكوَيكب ، داخل حجرة شبه أسطوانية ، يغمرها ضوء أزرق دافئ ، أعاد إلى نفوس ركابه الهدوء والسكينة ، حتى أن (رمزى) هتف فى دهشة :

ــ عجبًا !! إننى لا أشعر بالخوف على الإطلاق .

أجابه (وائل) فى دهشة مماثلة :

ــ هذا عجيب !! إنه شعورى أنا الآخر .

نهض المقدم (مجدى) من مقعد القيادة قائلًا :

ــ دعُونا نغادر هذا المكان ، ولنَرَ ماذا ينتظرنا فى الخارج .

فتح (رمزى) باب المكوك ، وهمّ بالقفز خارجًا ، ولكنه تسمّر فجأة فى مكانه ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، ثم لم يلبث أن هتف فى فرح شديد :

ـ يا إلهي !! (نور) ؟ أنت حيّ ؟. حيّ ..

قفز (رمزى) معانقًا (نور) ، وقفز خلفه (مجدى) و (وائل) ، وكل منهم لا يصدّق عينيه من المفاجأة .. كان اللقاء حارًّا عاطفيًا مؤثرًا ، حتى أن الدموع طفرت من عيون الجميع غزيرة ، قبل أن يهتف المقدّم (مجدى) :

ـ إن الأمر يشبه المعجزة .. كيف وصلت إلى هنا ؟.. كيف نجوْت ؟

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ـ إنها قصة طويلة ياصديقى ، سأقصُّها عليكم حين عودتنا إلى محطتنا الفضائية .

غمغم (مجدى) فى دهشة :

ـ محطتنا الفضائية ؟!.. هل تعنى أننا سنعود إليها ؟

ضحك (نور) فى مرح ، وهو يقول :

ـ بالطبع يا صديقى .

وفجأة .. اتسعت عينا المقدّم (مجدى) ذهولًا ، وأسرعت يده إلى مسدّسه الليزرىّ ، فقد وقعت عيناه على

المخلوقيْن الفضائييْن ، وتراجع الجميع فى دهشة عدا (نور) ، الذى أمسك معصم (مجدى) فى قوّة قائلًا :

ـ مهلًا يا صديقى إنهما صديقان .

ازدادت دهشة الجميع مع عبارة (نور) ، فهتف (وائل) وهو يتأمّل المخلوقيْن فى ذهول :

ـ صديقان ؟!.. كل هذا الهجوم علينا ، وتقول إنهما صديقان ؟

ابتسم (نور) وقال :

ـ لو أنهما هاجماكم ، ما بقى أحدكم حيًا ياصديقى .. لم يكن الأمر سوى تجربة أو نوع من الاختبار .

غمغم (رمزى) فى ذهول :

ـ اختبار ؟!

ضحك (نور) ، وقال وهو يتّجه فى خطوات هادئة إلى المخلوقيْن :

ـ نعم يا عزيزى (رمزى) .. سأشرح لك الأمر كله بعد أن تحصل على بعض الرّاحة .

* * *

قطب المقدم (مجدى) حاجبيه ، وهو يتأمل المخلوقين مغمغمًا :

ـ يا إلٰهى !! إن الحديث العقلى هذا يثير فى رأسى الصداع .

ابتسم (نور) ، وقال :

ـ ستعتاد عليه سريعًا يا سيادة المقدم .

سأله (رمزى) فى لهفة :

ـ إنك لم تشرح لنا شيئًا بعد يا (نور) .. ماذا حدث ؟

ابتسم (نور) ، وهو يجلس قائلًا :

ـ سيدهشك ما سأخبرك به يا عزيزى (رمزى) ، ولكن كل كلمة ستسمعها منى صحيحة تمامًا ، لقد وافق صديقانا أبناء (الجرس الأخرس) على ذلك .

غمغم المقدم (مجدى) :

ـ رنين صامت .. حوار صامت .. جرس أخرس .. لقد سئمت هذه العبارات المتضادة .

ضحك (نور) للتعليق ، ووقف المخلوقان فى صمت وهدوء ، وبدأ هو يشرح الأمر :

ـ لقد تصورت أنا أيضًا فترة طويلة أن هذين المخلوقين يضمران لنا الشر .. بالضبط حتى نجحت فى الهروب من هنا ، ثم تنبهت فجأة إلى عدة نقاط لم ألحظها فى وقتها .. تنبهت إلى أن أحدهما أخبرنى فى البداية أن اكتشافهما لشخص يتنفس الأكسوجين مثلهما قد أدهشهما ، ثم عاد الثانى وتحدث معى عن (تحتمس الثالث) ، وقال إنهما التقيا به من قبل ، وهذا يعنى أنهما يعلمان جيدًا وجود مخلوقات تتنفس الأكسوجين ..

تذكرت أيضًا أن المخلوقين حينما كانا يراقبان مطاردة الكرة لكم ، كانا يفعلان ذلك فى اهتمام من يشاهد لعبة ، لا من يشن حربًا ، ثم تنبهت إلى أننى حينما فكرت فى الهرب عبر المخرج الدائرى ، كان من الطبيعى أن يقرأ أحدهما أفكارى ، ولا شك أن هذا حدث ، ولكنهما لم يتخذا أية ردود فعل لمنعى .. أيضًا حينما أرادوا الإقلاع ، ثم منعتهم

أنا .. إنهما توقفا عن المحاولة بعد ذلك ، وكأن ما يريدانه قد حدث بالفعل .. نقاط متضادة عديدة ألهمتنى الحلّ .

غمغم المقدم (مجدى) فى سخط :

ـ وما الحل ؟ .. إننى لم أفهم شيئًا بعد .

ابتسم (نور) ، وقال :

ـ الحلّ ببساطة ، أننا كنا طوال الوقت مجرّد تجربة .. كان المخلوقان يدرسان ردود أفعالنا إزاء المواقف المختلفة ، فقد أحضرانى إلى هنا بواسطة .....

قاطعه (رمزى) مكمِلًا :

ـ (الانتقال الآنى) .. لقد كشفت (سلوى) ذلك

ضحك (نور) ، وهو يقول :

ـ هذا صحيح .. ولقد تركونى فى سُبات عميق ، بعد أن انتهوا من فحصى ، حتى وصل مكّوك الفضاء ، وهنا أيقظونى ليروا ردّ فعلى ، حينما تقع عيناى عليهما .. ثم افتعلوا لحظة أخذى إلى كوكبهم ، وأدار أحدهما محركات سفينتهما ؛ ليريا إذا ماكنت سأفهم المقصود من ازدياد

سرعة الفقاعات أم لا .. وبعد أن تأكدا من إمكانية إدراكى للأمر ، بدأ اهتمامهما يتركز حولكم ، إذ أثار انتباههما توصلكم إلى حقيقة كوكبهما الزائف ، فراقباكم وأنتم تحومون حوله ، ثم رأياكم تبتعدون .. وهنا سمحا لى بالهرب ، ليريا كيف سأعامل الكرة الفضائية .. ولكنكم عدتم ، وأصبتم فوهات العادم مما أكّد لهما قدرتكم على الاستنتاج والمناورة ، وخاصة حينما نجحتم فى كشف طبيعة الكرة الحمراء المطاردة ، ونجحت أنا فى نفس الوقت فى قيادة كرتهما الفضائية ، برغم أجهزتها التى تختلف تمامًا عما نألفه على الأرض .. باختصار يا رفاق ، لقد كان اختبار ذكاء ، ويسعدنى أننا نجحنا فيه بامتياز .

أطلق المقدّم (مجدى) ضحكة ساخرة ، ورفع كفيه ليصفّق متهكمًا ، ولكنه توقّف فجأة ، إذ انساب إلى عقول الجميع ، حوارٍ فكرى من المخلوق الأكبر سنا يقول :

ـ لقد كنتم جميعًا رائعين أيها الأرضيُّون .. لقد تقدمتم كثيرًا منذ عصر ملككم السابق (تحتمس الثالث) ، على

حين لم نقطع نحن مثل هذا الشوط من التقدُّم فى المدة نفسها .. لقد أخذنا زميلكم فى البداية كعيّنة للفحص ، ثم كشفنا أنه أرضىّ ، فاقترح زميلى القيام بهذه التجربة ، وقد كان .

غمغم المقدم (مجدى) فى سخط :

ـــ اللعنة .. هل تظنّوننا حيوانات تجارب ؟

قال (نور) ، فى لهجة تحمل معنى العتاب :

ـــ من حسن الحظ أنهما لا يفهمان لغتنا المنطوقة ياسيادة المقدّم .

عاد المخلوق الأكبر سنًّا يقول ، من خلال الحوار العقلى :

ـــ لقد أسعدتنا هذه التجربة كثيرًا ، فقد حققنا هذه المرة نتائج رائعة ، إذ أمكنكم استنتاج وفهم كل شىء بل أمكنكم التجاوب مع أجهزتنا التكنولوجية ، التى تعدُّ بالنسبة لكم متقدمة للغاية ، وهذا يؤكد ذكاءكم المتفوّق ، وعبقريتكم فى استيعاب التطوُّر .. الشىء الأجمل هو

ما أثبتموه لنا من خلال ما فعلتم .. لقد كان كشفكم أو استنتاجكم أن الكُوَيْكب غطاء زائف لسفينة فضائية تفوقكم تطوُّرًا كفيل بإثارة الخوف والتردُّد فى نفوسكم ، ولكنكم بالرغم من ذلك ، وبرغم تقديركم لمدى الخطورة لم تتردَّدوا فى مهاجمتنا من أجل إنقاذ زميلكم .. إنها روح فدائية رائعة ، وتعاون جميل ، لم نر له مثيلاً عبر الكون .

ابتسم الجميع ، على حين قال (رمزى) عقليًا :

ـــ هذه نعمة من الخالق (عز وجل) .

عاد المخلوق يقول :

ـــ لقد شجعنا ذلك على إتيان ما كنا نؤجله دائمًا .. اللقاء الأول العاقل بين عالمينا .. إنها لحظة تاريخية لكل منّا .

* * *



٩ ـــ الرِّســالة ..

جلست (سلوى) واجمة شاحبة ، أمام نافذة غرفة المراقبة بالمحطة الفضائية (قاهرة ٧) ، وبصرها معلَّق بالفضاء الشاسع ، ترقب نجومه ، لعلَّها تمنحها الأمل فى عودة زوجها المفقود ، واقترب منها الرائد (خالد) قائلًا :

ــ ألا تتناولين بعض الطعام يا سيِّدتى .. لا ريب أنك تشعرين بالجوع .

اكتفت (سلوى) بهزّ رأسها نفيًا ، دون أن تنطق بكلمة واحدة ، فأطرق (خالد) إشفاقًا ، وغمغم فى لهجة تحمل الأسف :

ــ يؤسفنى ما أصاب زوجك يا سيِّدتى .. لقد كان خير رفيق و ....

قاطعته ، وهى تقول فى حزم :

ــ لا تقل (كان) أيها الرائد .. إنه سيعود .

تطلَّع إليها فى إشفاق ، وسألها فى صوت خافت :

ــ أما زلت تؤملين فى ذلك يا سيِّدتى ؟

أجابته فى اختصار وثقة :

ــ نعم .

ابتسم (خالد) ابتسامة حزينة ، وهو يقول :

ــ لقد حدَّثنى زوجك عنك كثيرًا يا سيِّدتى ، ولقد كان محقًا .. أنت زوجة رائعة .

غمغمت فى شحوب :

ــ شكرًا لك .

استدار (خالد) يهمُّ بالابتعاد ، حينما انبعث أزيز مرتفع من جهاز الاتصال الخارجىّ ، فقفزت (سلوى) ، وامتقع وجهها وهى تقول :

ــ إنه هو .. إنه هو .

اختطف (خالد) ميكروفون الجهاز ، وقال فى لهفة :

ــ هنا محطة الشُّرطة (قاهرة ٧) .. من المتحدِّث ؟

ظهر الصوت واضحًا مرحًا ، يقول :

ـ إنه أنا يا (خالد) .. الرائد (نور) .

صرخت (سلوى) فى مزيج من السعادة والدهشة ، وصرخ (خالد) ذهولًا وفرحًا .. وانفجرت الدموع التى احتبست طويلًا فى صدر (سلوى) من عينيها ، وهى تندفع مختطفة الميكروفون صائحة :

ـ ألمْ أقل لك ؟.. ألم أقل لك ؟..

جاءها صوت (نور) هادئًا ، يقول فى لهجة ملؤها الحبّ والحنان :

ـ كيف حالك يا زوجتى العزيزة ؟

ظلّت (سلوى) عاجزة عن إجابته بعض الوقت ، والدموع تملأ عينيها وحلقها ، حتى أنه عاد يقول فى هدوء :

ـ هل تناولت طعام العشاء يا عزيزتى ؟

أجهشت (سلوى) ببكاء مسموع ، وهى تهتف من أعماقها :

ـ كنت أعلم أنك حىّ يا (نور) .. كنت أعلم ذلك .

قال (نور) فى لهجة تفيض حنانًا :

ـ اسكبى كل ما لديك من دموع يا عزيزتى ، فلا أحبّ أن أراك باكية ، حين نلتقى بعد قليل .

وكأنما أطاعت (سلوى) الأمر ، فقد انخرطت فى بكاء حار ، وانهمرت دموعها كالأمطار ، وهى تناول الميكروفون للرائد (خالد) .

* * *

لم يكد (نور) ينهى الاتصال بالقاعدة الفضائية ، حتى شعر بأفكار الكائن الأصغر تتسلّل إلى عقله قائلة :

ـ رائعة هى مشاعركم أيها الأرضيُّون .. إنكم مترابطون بشكل يصعب تصوُّره فى كوكبنا .

أجابه (نور) فى صمت :

ـ هذا ما جعل الحياة محتملة يا صديقى .

قال الكائن الأكبر سنًّا :

ـ لقد برزت فكرة العثور على حضارات أخرى فى عقل أمتى منذ زمن طويل ، يقدَّر بالنسبة إلى زمنكم بمليون عام

تقريبًا .. وحينما نجحنا فى صنع سفينة فضاء كونيّة ، انطلقنا نجوبَ المجرّات والشموس ، وعثرنا على أشكال لا حصر لها من الحياة العاقلة المفكّرة ، ولكننا كنا فى كل مرة نجد الاندماج مستحيلًا ، إمّا للفارق الخرافى فى التقدّم التكنولوجى ، وإمّا فى الأسلوب العدوانى للحضارة الأخرى ، حتى كاد ينتابنا اليأس ، إلى أن التقينا بكم ، وأثبتت الاختبارات أنكم أصلح شعب يمكنه فهمنا ، والتعايش السلميّ معنا .

اشترك الرائد (وائل) فى الحوار العقلى ، قائلًا :

ـ لطالما حاولت تخيّل ذلك اللقاء الحضارى الأول ، بين سكان الأرض ومخلوقات الكواكب الأخرى ، ولكننى لمْ أتصوَّر لحظة واحدة ، أن أكون جزءًا من ذلك اللقاء .. إن هذا يبعث فى نفسى شعورًا عجيبًا أعجز عن وصفه .

اندفع المقدم (مجدى) يهتف :

ـ ولكن هذا الأمر يحتاج إلى إعلام المسئولين فى (مصر) ، لا يمكننا الاحتفاظ بالأمر لأنفسنا .

ثم تنبّه إلى ضرورة الحديث العقلى ، فأعاد ما قال فكريًا ، وهنا أتته أفكار المخلوق الأكبر سنًا ، تقول :

ـ هذا صحيح .. لقد درسنا الأمر أنا وزميلى (زنستاز) .

افترّ ثغر المقدّم (مجدى) عن ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

ـ (زنستاز) ؟!.. ما أعجبه من اسم !!

قال (نور) ، فى لهجة معاتبة :

ـ لا تنسَ يا سيادة المقدّم ، أن اسم (مجدى) قد يبدو لهما مضحكًا سخيفًا أيضًا ، كما أن ملامحنا تبدو ولا شك فى نظرهم غير جميلة ، بل منفرة ..

قطّب (مجدى) حاجبيه فى صمت ، على حين استمر المخلوق الأكبر سنًا يبثُّ رسالته العقلية ، قائلًا :

ـ ولمّا كان من الضرورى أيضًا إيجاد لغة مسموعة للتفاهم ، وتبادل المعلومات ، فقد اتفقنا أنا وزميلى ، على أن يصحبكم هو إلى كوكبكم ، ويضع نفسه تحت تصرّفكم

إلى حين يصل أحد المسئولين بكوكبنا ، ليتم اللقاء الرسمىّ الأول على أرضكم .

انتفخت أوداج المقدّم (مجدى) ، وهو يتصوّر عودته حاملاً المخلوق الفضائى ، وتصوّر نفسه يتلقّى وساما ، وتمتلئ صحف الفيديو بصوَره ولقاءاته و ....

ولكن (نور) حطّم أحلامه فجأة ، حينما قال فى صوت مسموع :

ـــ ولكن هناك مشكلة يا رفاق .. مشكلة تعترض ذلك اللقاء ، وتحتاج إلى حلّ حتمىّ .. مشكلة تحتاج إلى فدائىّ .

* * *



١٠ ـــ الختام ..

اتجهت أنظار وأفكار الجميع نحو (نور) ، انتظارًا لما سيقول ، وفضّل هو استخدام الحوار المسموع ، فقال :

ـــ الأمر يحتاج بالضرورة إلى إرسال بشرى إلى سديم (الجرس الأخرس) أيضًا .

ساد الصمت التام بعد عبارة (نور) ، وتبادل الجميع النظر ، ثم قال المقدّم (مجدى) فى توتّر :

ـــ ولكن من يقبل ذلك ؟.. من يقبل التحوّل إلى فأر تجارب فى كوكب هؤلاء المسوخ .. لن تجد رجلاً واحدًا يقبل الانسلاخ عن حياته ورفاقه ، ليذهب إلى هناك .

اندفع (رمزى) ، يقول فى حماس :

ـــ بل إنها تجربة مثيرة للغاية أيها المقدّم .

صاح (مجدى) فى حنق :

ـــ أيّة إثارة هذه ؟.. ومن ذا الذى يقبل تسليم نفسه لهؤلاء ؟

قال (وائل) فى هدوء :

ــ أنا يا سيادة المقدّم .

استدار إليه الجميع فى دهشة ، ولكنه أسرع يقول :

ــ صدّقونى ، ليس فى الأمر أى نوع من التضحيات ، فهذا هو حلم حياتى منذ الصغر .. أن أعيش وأشاهد حضارة أخرى من كوكب آخر .. ولست أشك فى أن كل لحظة ستكون ممتعة للغاية هناك ، ولن أشعر بالملل مطلقًا .

قال (مجدى) فى توتّر :

ــ صه أيها الرائد .. إنها مجرّد نزوة ، لن تلبث أن تتلاشى و ....

قاطعه (وائل) ، قائلاً :

ــ كلّا يا سيادة المقدّم .. لقد أسأت فهمى .. إننى أجد فى نفسى الشخص الملائم تمامًا لذلك التبادل ، فأنا واحد من رجال سلاح الفضاء ، ويمكننى بحكم خبرتى معاونة المخلوق الأكبر سنًا ، على قيادة سفينته الفضائية إلى كوكبه ، ثم إننى فقدت أبوىّ منذ حداثتى ، ولست متزوّجًا

مثل (نور) ، أو مثلك يا سيادة المقدّم ، ولن يفتقدنى العلم مثل الدكتور (رمزى) .. صدّقنى يا سيّدى .. إننى الرجل المناسب من كل الوجوه .

ثم ابتسم وهو يردف :

ــ ثم إننى سأحصل على منصب من المستحيل تعويضه .. أول سفير كونى فى التاريخ .. إننى أتمسّك بهذا المنصب يا سيادة المقدّم .

ساد الصمت طويلاً ، ثم اتجه (نور) إلى (وائل) ، ووضع راحتيه على كتفيه قائلاً :

ــ أنت رجل شجاع يا (وائل) .. وفّقك الله .

وفى تلك اللحظة ، انبعث من عقل المخلوق الأكبر سنًا رسالة تقول :

ــ صحيح أننى لا أفهم لغتكم ، ولكننى أستطيع الحكم على طبيعة حواركم أيها الأصدقاء ، وأحبّ أن أقول إننا لا نريد بدء العلاقة بين كوكبينا بعمل يسىء إلى أحدكم ..

ساد الصمت طويلًا ، وتبادل أهل الأرض النظرات ، ثم غمغم (مجدى) :

ـــ يا لنا من أنانيين !!

وفى هدوء ، تحرّك (وائل) نحو المخلوق الأكبر سنًا وهو يبتسم ، ووضع راحته فوق كتفه ، وخرجت من رأسه رسالة عقليّة استقبلها المخلوق :

ـــ ليست هناك إساءة من أى نوع يا صديقى .. اطمئن .. أنا رجلكم .

* * *

اشتعلت محركات المكُوك الفضائى ، واستعد ركابه للصُعود إليه ، وبصحبتهم (زنستاز) ، وتوقَّف المقدّم (مجدى) ينظر فى عينى الرائد (وائل) فى صمت ، ثم قال فى صوت خافت :

ـــ سنفتقدك كثيرًا يا صديقى .

ابتسم (وائل) ، وقال :

ـــ ما هى إلّا عشرون عامًا ونلتقى مرّة ثانية يا سيّدى .

واتسعت ابتسامته ، وهو يردف :

ـــ ومن يدرى ؟.. ربما كشف أصدقاؤنا وسيلة تختصر المزيد من الوقت .

التفت (مجدى) إلى المخلوق الأكبر سنًا ، وسأله عقليًا :

ـــ هل أنت واثق من قدرة (وائل) على مساعدتك فى قيادة السفينة ؟

خُيّل إليه أن المخلوق قد ابتسم ، وهو يقول :

ـــ لست فى حاجة إلى معاونة فى الواقع .

صمت الجميع لحظة ، ثم مدّ (مجدى) كفّه إلى المخلوق ، قائلًا :

ـــ هل يمكننا أن نتصافح ؟

سأله المخلوق :

ـــ وماذا يعنى هذا ؟

ابتسم (مجدى) ، وقال :

ـــ وسيلة للتعبير عن الثّقة والصّداقة .

بدت ابتسامة المخلوق شاحبة ، وهو يقول :

— ليس لدىّ مانع فى هذه الحالة .

ثم التقت أكفهما ، وتمت المصافحة الأولى بين عالمين .

* * *

ابتعد مكوك الفضاء الأرضى عن الكُويكب ، وأوقف (مجدى) محركاته قائلا :

— دعُونا نشاهد هذا الكُويكب وهو ينطلق .

وأمام أبصارهم جميعًا ، اندفع لهب أخضر من فوهات العادم ، فى النصف الخلفى للكُويكب ، وأخذ يدور حول نفسه فى بطء ، ثم انطلق فجأة مبتعدًا فى الفضاء ، فغمغم (رمزى) :

— الله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم متى نلتقى ثانية .

ساد الصمت لحظة ، ثم قال (مجدى) فى لهجة متشككة :

— ولكن هذا الاتجاه الذى يتخذونه .. كنت أظن سديم (الجرس الأخرس) بعيدًا و ....

ولم يتم عبارته ، اكتفاء بهزة رأس تنم على الحيرة ، فقال (نور) مبتسمًا :

— دعُونا لا ننسى هذه اللحظة التاريخية يا رفاق .. سيذكر التاريخ يومًا أنه فى نقطة ما من الفضاء اللانهائىّ ، وعلى بعد آلاف الأميال من سطح كوكب الأرض ، تم اللقاء الأول بين سكانه ومخلوقات كوكب آخر .

ثم التفت إلى المخلوق الأصغر (زنستاز) ، وقال من خلال حوار عقلى :

— تُرى ، هل لديكم تاريخ مكتوب يا صديقى ؟

ظل (زنستاز) صامتًا بعينيه الواسعتين ، ووجهه الطويل ، فاقترب منه (نور) ، ووضع يده على كتفه قائلاً :

— هل تشعر بالحزن لمفارقة وطنك يا رفيقى ؟

وفجأة .. رفع (نور) يده عن كتف (زنستاز) ، كمن لدغته عقرب ، وتراجع إلى الخلف فى حدة ، واتسعت

عيناه عن آخرهما ذعرًا ودهشة ، وصرخ من أعماقه :

ــ ربّاه !! (وائل) ..

التفت إليه الجميع فى دهشة ، وصاح (مجدى) :

ــ ماذا حدث يا (نور) ؟.. ماذا أصابك .. تكلّم ؟

حجب (نور) وجهه بكفّيه ، وصاح فى صوت مكتوم تملؤه اللّوعة :

ــ لقد خدعونا .. لقد أعطونا رجلا آليًا .

اتسعت عيون الجميع ذهولًا ، وقفز (رمزى) فى حدّة ، فدفع (زنستاز) دفعة قوية أسقطته ، وعلى الفور تحطّم رأسه المصنوع من مادة شبيهة بالبلاستيك ، وتولّاهم ذهول يختلط بالرّعب ، واستدارت رءوسهم فى آن واحد تحدّق فى الفضاء الشاسع ، حيث اختفت سفينة الفضاء الكونية بسرعة مذهلة .

وصرخ (مجدى) ، وهو يرتجف غضبًا ودهشة :

ــ ولكن لماذا ؟.. كان بإمكانهم أخذ (نور) منذ البداية .

سالت دموع القهر من عينى (نور) ، وهو يقول :

ــ كنت سأعوق تجاربهم بالرفض والعناد ، وها قد حصلوا بخدعتهم المتقنة ، على رجل سيستسلم لكل تجاربهم ، وكأن هذا واجبه .. لقد خدعونا .

خيّم الصمت التام داخل المكّوك الأرضى ، وتعلّقت أبصار الجميع بالفضاء ونجومه المتناثرة إلى ما لا نهاية ، والتقت أفكارهم عند اللقاء الأوّل مع سكان الكواكب الأخرى ، وانبعث فى نفوسهم رنين غاضب .. (رنين الصمت) ..

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع ٣٢١٥